



ISSN: 1817-6789 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: <http://www.jtuh.com>

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

khawam manie
muhamad aljumili -
jamieat tkryt -klyt aladab
-qsim alaijtimae

alrafednn@hotmail.com
07723777100 هـ

ARTICLE INFO
eulim alaijtimae - alfikr -alaslamy

Article history:

Received 30 Sep. 2018
Accepted 2018
Available online 2018

Journal of Tikrit University for Humanities

alaikhtilaf alfikriu bayn alfahm alquranii walaijtimaeii

A B S T R A C T

yatadilh min alayat alqurawyi wawaqie alhali, 'anah lays ghrybaan aikhtilaf albashar fi altawrat wal'afkar walmuetaqadat waleadat waltaqalidi, 'iinama algharib 'ana taraa tatabuqaan fi alainsha' waleard 'iimaa ealaa wujud quat mudam waqahirat muktamalat ealaa alrudukh walttaeat, 'aw hi jahl fiat min alnaas tajealuhum 'aqalu min ghirihi? darab min almustahil'a- aikhtilaf qarani: 'ana kl alaikhtilaf aldhy sadar ean rabi alealamin hu mahmud wabina' naqratayn lieard alsuwrat fi saffhat wahidatin.

b- aikhtilaf eilmi: hu ma yadulu ealaa aismuh, yakun takafuli bayn aleulama' liakmil 'ahaduhum alakhar fi alfikr walaikhtirae walbina' waltatwir, wabadha yakun kl ealam yabhatun eimalawuhum fi dhlk? altaerif bialaikhtibarat alty tama tahdiduha min qibl:

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.25.12.2018.24>

الاختلاف الفكري بين الفهم القرآني والاجتماعي

د. خوام مانع محمد الجميلي - جامعة تكريت - كلية الآداب - قسم الاجتماع

الخلاصة:

يتضح من الآيات القرآنية وواقع الحال الاجتماعي، انه ليس غريباً اختلاف البشر في التصورات والأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد، انما الغريب ان ترى تطابقاً في الآراء والمواقف لدى شعب او جماعة، لأن هذا يخالف لسنة الله في خلقه كما ذكرنا في الآيات، وان وجدنا تطابقاً انما يدل اما على وجود قوة مسيطرة وقاهرة تفرض رأيها على الآخرين وتجبرهم على الرضوخ والطاعة، أو هو جهل فئة من الناس يجعلهم يقلدون غيرهم تقليداً اعمى، وكلا الحالتين يخالف لسنة الله ونواميس الارض، لأن محاولة جعل الناس كلهم يؤمنون بفكر او ثقافة او معتقد او حزب واحد هذا ضرب من المستحيل. كما وتوصلنا من خلال الدراسة الى ان الاختلاف يقسم الى عدة انواع منها:

أ- اختلاف قرآني: ان كل الاختلاف الذي صدر عن رب العالمين هو محمود وبناء سواء فيما يخص الاختلاف في الطبيعة او في خلق الانسان الظاهر والباطن.
ب- اختلاف علمي: وهو ما يدل عليه اسمه، يكون تكافلي بين العلماء ليكمل احدهم الآخر في الفكر والاختراع والبناء والتطوير، وبهذا يكون كل عالم يبحث عن مختلف معهم سواء بالاختصاص المعاصر لاستكمال مشروعه او في نفس الاختصاص لإنشاء افكاره، والاختلاف العلمي غالباً ما يكون محمود باستثناء العلم الذي يخدم مصالح السياسة السلبية التي تعتاش على قتل وتدمير الشعوب وبذا يكون العلم الذي يتفنت بإنتاج الاسلحة علم مذموم.

ت- اختلاف اجتماعي: ويقسم الى:

1- اختلاف محمود: وهو ما يكون بين العقلاء، وبذا يكون عبارة عن عصف فكري وتلاقح افكار يثري ويكمل احدهم الآخر.

2- اختلاف مذموم: هو بين الجهلاء وغالباً ما يفضي الى مشاكل وخلاف.

3- اما بين العقلاء والجهلاء لا يكون اختلاف او خلاف استناداً الى قول الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان: ٦٣

﴿وَالْفَرْقَانُ: ٦٣﴾

(الفرقان: ٦٣)

ج- اختلاف سياسي: غالباً ما يكون مذموم ويتبع المصالح الاقتصادية والحزبية.

أ- اختلاف ديني: ان هذا النوع من الاختلاف غالباً ما يكون متوازي، نادراً ما يفضي الى وفاق، وقلماً يفضي الى خلاف، ولا يمكن ان يؤدي الى خلاف كبير او اقتتال الا اذا تدخلت السياسة لتحوله الى خلاف وتناحر وقتال، ويعتبر هذا النوع اخطر انواع الاختلاف، وهو ما لعب على وتره السياسيون لترميز مشاريعهم السياسية والمصلحية والاقتصادية، ولا زال هذا النوع من الاختلاف يشكل خطراً على الشعوب والدول، وان كل ما تمر به شعوب المنطقة اليوم من ويلات وحروب وقتل وهجرة وتجزير هو من ضحايا هذا النوع من الاختلاف، ولا يقوتنا ان نقول ان الشرير الانهري الذي يغذي هذا الاختلاف هو الجهل، ونستطيع وصفه بانه (استغلال الساسة للجهلاء).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وجد الاختلاف في جميع مناحي الحياة الكونية، اختلاف في الطقس والمناخ وفي النبات وفي تضاريس الارض واشكالها، بين جبل وهضبة وسهل ووعر وأودية وأهوار وبحار وغيرها، ونوع تربتها بين الرمل والصخر والطين والمالح والغرين وغيرها، وتختلف الثمار والفواكه فيما بينها من حيث اللون والطعم والرائحة، وتختلف في كثرة انواعها ومواسم نزولها، اما بما يخص بني البشر، فالاختلاف في الشكل واللون والملامح والهيئة واضح على المستوى الجماعي، فالمجتمع الصيني لا يشبه المجتمع الياباني ولا يشبه المجتمع الألماني ولا يشبهون العرب وهكذا بين جميع شعوب الارض، اما على مستوى الافراد فهناك اختلافات كثيرة من حيث الهيئات والاشكال والالوان، واستحالة التطابق بين البشر في الشكل وبصمة الصوت والعين والبنان والحامض النووي، هذا ما توصل اليه العلم الحديث لحد الآن ولا نعرف ما سيكشفه مستقبلا، فضلا عن اختلاف الالسن والعقول والمدارك والتصورات والافكار، وهذه الامور تفضي الى اختلاف السلوك والآراء والأحكام، وكل ذلك من آيات الله في خلقه لحكمة هو يعلمها، حيث يوجد على وجه البسيطة اكثر من 7 مليار انسان لا يوجد شخصين متطابقين بكل شيء على الاطلاق، لماذا هذا الاختلاف والتنوع العجيب في كل شيء؟ لم تكن كل هذه الاختلافات مصدر خلاف وتضاد كما يدل المعنى الظاهر لكلمة اختلاف الذي يوحي الى التنافر واللا توافق، بل العكس، كانت مصدر ثراء وجمال للكون وإعمار وبناء للأرض، لذا كان الاختلاف بين بني البشر سنة كونية ليس في خلق الإنسان فحسب، إنما هي من ثوابت نظام الخلق وقانون يعيش في دائرته جميع المخلوقات في هذا الكون المتسع، وان العمل على تفسير الاختلاف بين بني البشر يعتبر مناقض لسنة الله تعالى، وفي ذات الوقت سيوقعنا في دائرة التطابق وما تسببه من مخلفات سلبية في حياتنا الشخصية والعامة.

ومن هنا فليس الاختلاف بين البشر في الأفكار والتصورات والمعتقدات والعادات والتقاليد بالأمر الغريب ولكن الغريب هو محاولة البعض جعل الناس كلهم يؤمنون بفكر واحد وثقافة واحدة ومعتقد واحد وقيادة واحدة ونية واحدة.

فكل انسان عالم قائم بذاته، ولكل شخص خصوصية، وكل انسان نسيج لوحده، له شفرة خاصة ونكهة خاصة، وشخصية خاصة، لا يوجد تطابق بين الناس رغم وجود قواعد

واصول ومنطلقات مشتركة، وهكذا البشر لكل انسان شخصيته ونظراته الخاصة للحياة، وبشكل عام فالإنسان تركيب معقد لا يسير اغواره الا الذي خلقه وكما وصفه الشاعر:

دواؤك فيك وما تبصر ودائك منك وما تشعر
وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

فهناك مثلاً مفاهيم لها أكثر من 100 تعريف، هذا على مستوى علماء الاختصاص، كالبطالة مثلاً، والامن، والدين، والفقر وغير ذلك، وإذا طرحنا اسئلة على سبيل المثال: ما تقييمك لتاريخنا؟ يراه البعض امجاد ومفاخر ويراه اخر صراع وآسي، وآخر يراه رمادي، ونسبة الرمادي تختلف من شخص لآخر، وهو نفس التاريخ لكن يختلف التقييم.

الانسان احياناً يختلف مع نفسه، ممكن يعطي رأي في الموضوع الواحد مختلف بين فترة وأخرى تحت قاعدة (هناك رأي رأيناه بالأمس وهذا رأي نراه اليوم).

وبناءً على هذا الاختلاف الفكري بين شخص وآخر في الرؤى والمفاهيم والسلوك والمصالح، بدأت الفجوات عبر التاريخ الانساني تكبر في الاختلاف على المصالح والمنافع المادية والمعنوية حتى وصلت اليوم أوج عظمتها، وما نراه اليوم من اقتتال ديني وحزبي وطائفي وفتوي هو من نتاج الاختلاف الفكري الذي يرفده عالم التكنولوجيا زائداً المصالح الشخصية والفتوية والحزبية، مما جعل العالم اليوم يموج بفتن لا يعلم نتائجها الا الله عز وجل، وأصبح الامن الفكري سلاح فتاك لا يقل خطورة عن السلاح الناري والنووي ان لم يكن أكثر فتكاً، لذا أصبح الامن الفكري اليوم مطلب اساسي من مطالب الحياة الفردية والاسرية والمجتمعية، فبإمكاننا ان نقول:

(إن الاختلاف الفكري هو عامل بناء وهدم للإنسانية في آن واحد)، وبناءً على ما تقدم يكون الاختلاف الفكري على ثلاثة انواع:

- 1- اختلاف ايجابي، وغالباً ما يكون علمي ويكمل الناس بعضهم في هذا المضمار، وهو المقبول غالباً لأنه أمر طبيعي خصوصاً بين أهل المعرفة والنظر والرأي من العلماء والمفكرين.
- 2- اختلاف سلبي: ومنشأه حب الذات والمصالح الشخصية، والمتعارف عليه (بالاختلاف المصلحي)، وهذا النوع من الاختلاف ينشأ عادة بسبب تضارب المصلحة الشخصية أو مصلحة الجهة مع مصالح الآخرين، ومن هنا تنشأ المشاكل والخلافات والحروب والعداوات والفرقة وتترتب عليه الآثار السلبية والسيئة التي تهدد أمن الفرد والمجتمع والانسانية جمعاء.
- 3- وهناك اختلاف طبيعي أساسه نقص المعلومات وهذا الاختلاف لا يمدح ولا يذم.

لذا سنركز في بحثنا هذا على النوعين الاوليين من الاختلاف فقط.

المبحث الاول: الاطار العام للدراسة ومفاهيمها

المحور الاول: عناصر البحث

اولا: مشكلة البحث: الاختلاف الفكري مصطلح مغمور لكنه غاية في الاهمية كونه ينعكس على المنظومة الأمنية برمتها، مما يكون سبباً في انتشار الفتن بأنواعها، ويؤثر على جميع نظم المجتمع الأخرى، فهو أحيانا يؤدي الى الخلاف وأحيانا أخرى يؤدي الى البناء والاعمار. ذكر الاختلاف كثيرا في القرآن الكريم، وجاء بين السلب والايجاب بين المحمود والمذموم، كما وجاء في المفهوم الاجتماعي بطريقة مقارنة ايضا بين المحمود والمذموم. وعلى ما تقدم يمكننا صياغة مشكلة الدراسة عبر مجموعة من التساؤلات التي تطمح الدراسة في الإجابة عنها:

- 1- هل الاختلاف يختلف بين الفهم القرآني والفهم الاجتماعي؟
- 2- ما هو الفرق بين الفهم القرآني والاجتماعي؟
- 3- هل الاختلاف كما يدل عليه اسمه يعني الخلاف والتنافر والتباعد؟
- 4- كيف يمكن معالجة الاختلاف الاجتماعي المذموم ومعالجته؟

ثانيا: اهمية البحث:

تتلخص اهمية البحث بالنقاط التالية

- أ- توضيح مفهوم الاختلاف الفكري نظرا لوجود حاجة ماسة لتوضيح مفهومه والمساهمة في تحقيقه في المجتمع لحمايته من الفتن.
- ب- تمكين المجتمع من تحصين نفسه لمواجهة خطر الاختلاف المذموم او السلبي وتجاوزه، لأنه المعوق الأقوى ضد الابداع والانتاج والرقى، والتخلص من الانحراف والتطرف والغلو والفتن التي تعصف بالمجتمع الاسلامي.
- ت- وتظهر أهمية موضوعنا بصفة خاصة بسبب التهديد الفكري الذي استشرى في مجتمعاتنا اليوم، نتيجة الجهل وإغفال دور التوعية بأهمية الحفاظ على مجتمعاتنا من الانحرافات التي تهدم عقيدته ومنظومة قيمه الأصيلة.

ث- تنامي المشكلات السلوكية التي أثرت على أمن المجتمع سلبا من جراء الاختلافات الفكرية التي عصفت به.

ج- ان ما تعاني منه الامة بشكل عام والعراق بشكل خاص في عصرنا هذا، من قتل ودمار وتهجير واربك امي، هو بسبب الاختلاف الفكري الذي ادى الى التكفير والغاء الاخر.

ثالثا: اهداف البحث

أ- التعريف بالاختلاف الفكري وتوضيح اثاره السلبية على الفرد والمجتمع، ولاسيما ان مجتمعاتنا اليوم تمر بفتن كقطع الليل المظلم.

ب- توضيح التفسير القرآني للاختلاف وانواعه.

ت- التمييز بين الفهم القرآني والفهم الاجتماعي لهذا المصطلح.

ث- الفرز بين الاختلاف السلي والايجابي واسبابهما في المفهومين.

ج- العمل على تنبيه المجتمع على خطر الاختلاف الفكري والخروج عن الوسطية والاعتدال.

المحور الثاني: التعريف بالمفاهيم

أولاً: تعريف الاختلاف والخلاف لغةً واصطلاحاً

أ- المعنى اللغوي: الاختلاف: هو مصدر مشتق من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة والتاء اختلف أي على وزن افتعل.

الخلاف: مصدر مشتق من الفعل خالف أي على وزن فاعل.
وعلى هذا النحو يقال: خالف يخالف خلافاً ومخالفة، واختلف يختلف اختلافاً، إذا: فمعنى
الخلاف والاختلاف هو المضادة والمعارضة وعدم المماثلة. والخلاصة ان الخلاف والاختلاف
في اللغة: هو مطلق المغايرة في القول والرأي والموقف والحالة¹.

ب- المعنى الاصطلاحي: الاختلاف: أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه
الآخر، أو هو: منازعة تجري بين متعارضين؛ لتحقيق حق أو لإبطال باطل². وبالتالي يمكننا
القول: بأن الخلاف والاختلاف يراد بهما مطلق المغايرة، في القول، أو الرأي، أو الحالة، أو
الموقف. وهو: "أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر"³، كما في قوله
تعالى: (وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) (البقرة: 253)، وقد فرق بعض
العلماء بين الخلاف والاختلاف في الاصطلاح، من عدة وجوه "هي:

- "الاختلاف: ما اتحد فيه القصد، واختلف في الوصول إليه، والخلاف: يختلف فيه
القصد مع الطريق الموصل إليه.

- الاختلاف: ما يستند إلى دليل، بينما (الخلاف): لا يستند إلى دليل.

- الاختلاف: من آثار الرحمة، بينما (الخلاف): من آثار البدعة"⁴.

- الاختلاف: من السنن التي جمل الله بها الكون تكاملاً وبهجة.

- أما الخلاف: لو حصل خلاف في الكون لاستحالت الحياة.

- الاختلاف: اغلب الاحيان يكون ايجابى، به تتكامل الآراء وتتلاقح الافكار وتزدهر
العلوم، ويكمل بعضها بعضاً، أما الخلاف فيقود الى التناحر والتضاد والصدام احياناً، مما
يضعف المجتمعات والشعوب والامم. الخلاصة: الفرق بين الكلمتين هو: "الاختلاف هو ان
يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحد، والخلاف هو ان يكون كلاهما مختلفاً"⁵.

ثانياً: تعريف الفكر لغةً: الْفَكْرُ وَالْفَكْرُ "إِعْمَالُ الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ؛ قَالَ سَيِّوْنِي: وَلَا يُجْمَعُ
الْفَكْرُ وَلَا الْعِلْمُ وَلَا النُّظَرُ، قَالَ: وَالْفَكْرَةُ كَالْفَكْرِ وَقَدْ فَكَّرَ فِي الشَّيْءِ وَأَفَكَّرَ فِيهِ وَتَفَكَّرَ
وَفَيَّكَّرَ، كَثِيرُ الْفَكْرِ"⁶.

ومن قال: "لا فكر لي في هذا إذا لم تحتج إليه ولم تبال به، وما دار حوله فكري"⁷. فالفكر
هو إعمال الخاطر في الشيء والتفكير به لضمان السلامة من الانحراف والغلو.

تعريف الفكر اصطلاحاً: للفكر في الاصطلاح تعريفات عديدة من أبرزها ما يأتي:

1- عرفه الزبيدي: "في المصطلح الفكري والفلسفي خاصةً هو الفعل الذي تقوم به

النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم ونحو ذلك، وهو كذلك المعقولات نفسها أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري"⁸.

2- وعرفه صليبا هو: "الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس؛ دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات؛ دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس"⁹. ويدل على ذلك قول الغزالي: "كان لقمان يطيل الجلوس وحده، فكان يمر به مولاه فيقول: يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان: إن طول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة"¹⁰.

ثالثا: الاجتماعي: وهي مشتقة من كلمة مجتمع، المجتمع لغة: مشتقة من الفعل (جمع) أي اجتماع الناس على شكل جماعة¹¹.

المجتمع اصطلاحاً: كل مجموعة من الافراد تربطهم رابطة ما معروفة لديهم ولها أثر دائم ومؤقت في حياتهم وفي علاقاتهم مع بعض¹².

وكذلك يعرف بأنه: جماعة من الناس يعيشون معاً في منطقة معينة وتجمع بينهم ثقافة مشتركة ومختلفة عن غيرهم وشعور بالوحدة كما ينظرون الى أنفسهم ككيان متميز¹³.

المبحث الثاني: الاختلاف الحمود

لو اردنا طرح سؤال: كيف سيكون شكل الحياة لو كان هناك صنف واحد فقط من المأكّل أو المشرب أو الملبس؟ أو منظر الطبيعة؟ أو بقيت الشمس مشرقة طول الدهر؟ أو لو غابت بلا نهار؟ وكيف لو استمر انهمار الامطار؟ أو لو استمر الجفاف؟.

فتنوع الحياة واختلاف مواسمها وازهارها ونباتها وفواكهها وخضرتها وجبالها وسهولها ووعورها، وتنوع مواردها ومناظرها، كل ذلك تجميل للحياة كي لا يصاب الانسان بالملل، والاختلاف هو عكس التطابق "والتطابق ينزع من حياتنا الفكرية المحرضات الذهنية على انتاج المزيد من الافكار والمفاهيم، لأن كثير من الافكار الجديدة هو نتاج الآراء المتعددة في القضية الواحدة، فاذا لم يكن امامنا سوى رأي واحد فلن يكون أمامنا سوى التكلس العقلي والجمود الفكري على ما نشاهده في البيئات المعرقة في الجهل والتقليد"¹⁴، ومهما كان الانسان متمكنا من العلم، لا يمكنه ان يحيط بجميع العلوم، ومن مجموع العلوم تنضج الافكار وتتكامل الاشياء وتنوع المنتجات، فتظافر الجهود والاختصاصات يدفع عجلة الحياة والتطور والنمو، فبالطبيب والمهندس والميكانيكي والفلاح والعامل والسياسي والتاجر والصناعي

وغيرهم تتكامل دائرة الحياة العلمية والعملية حيث يكمل احدهم الاخر لدعم الحياة، "اذ يستحيل بناء الحياة وقيام شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس ذوي القدرات المتساوية والنمطية المتطابقة، اذ لا مجال عندئذ للتفاعل والاكتساب والعطاء، ذلك انه من طبيعة الاعمال الذهنية والعملية اقتضاء مهارات وقدرات متفاوتة ومتباينة"¹⁵، وهذا من النتائج الايجابية المحمود للاختلاف، فإعمار الارض كان نتيجة الاختلاف في الرغبات والمعارف والتخصصات مما جعلت الخبرات يكمل احدها الاخر، كمثال انتاج السيارة يحتاج فيها الى تضافر جهود الميكانيكي والكهربائي والحداد والصباغ وصانع الزجاج والبلاستيك والفابريك واختصاصات اخرى كثيرة لا يستطيع فريق متخصص في مجال واحد من انتاج السيارة بأي حال من الاحوال، وهذا الراي ينسحب على جميع المنتجات الصناعية الاخرى، اذن لا بد من معرفة ان الاختلاف سنة كونية حكيمة لإعمار الارض، وعلينا ان نتعامل معها بضوابطها الشرعية ولا نتبنى افكار شخصية تخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها والتي من شأنها تمزيق الامم، والاختلاف المحمود ورد في اصل الخلق كما ويوجد بين العقلاء كما سيرد.

المحور الاول: الاختلاف المحمود في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تناقش موضوع الاختلاف من عدة وجوه، لكنها وردت وكأنها تخاطب شريحة محددة من البشر وهم العقلاء والعالمين كما ورد في قوله تعالى:

﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝﴾ (فاطر: 28).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ (المؤمنون: ٨٠).
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾ (البقرة: ١٦٤).
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝﴾ (آل عمران: ١٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ۝﴾ (الروم: ٢٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَضَرِّيفُ الرِّيحِ ءَايَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥﴾ (الجاثية: 5)

الشريحة المخاطبة هي كما وردت (لقوم يعقلون، لأولي الألباب، للعالمين، لقوم يعقلون)، يا ترى يعقلون ماذا؟ وما هذا التشديد المربوط بين الاختلاف من جهة والعقلاء والعلماء من جه أخرى؟ فالآيات تريد ان تقول ان هذا الاختلاف لا يعرف قدره الا هذه الشريحة، الا ان عوام الناس يعرف الاختلاف على ظاهر اللفظ على انه تباعد وتنافر، وبذا نستطيع القول ان كل مشاكل الحياة واختلافاتها مرجعه الجهل، فالجهل هو العدو اللدود لبني البشر، لذا كثيرا ما ذم الله الجهل والجهلاء في كتابه الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣﴾ (الفرقان: ٦٣) دلالة على الاستخفاف بالجاهل والاستهانة بقدره قياسا مع عباد الرحمن الذين تميزوا عن غيرهم باعتبار العبودية لله رفعة وسمو، وان العقلاء يترفعون عن صغائر الامور وعن الاختلافات برمتها.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغْنَىٰ اللَّهُ تَأْمُرُوتِ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ٦٤﴾ (الزمر: ٦٤) هنا يعيرهم الله بالجهل ويحط من قدرهم.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ٢٧٣﴾ (البقرة: ٢٧٣) توضح الآية ان الجاهل لا يميز بين الامور والمواقف وهذا هو صلب موضوعنا.

اذن: العلم هو الفيصل بين الامور من وجهة النظر القرآنية، فأينما وجد الجهل وجد الاختلاف والشقاق والمشاكل، واينما وجد العلم يكون الاستقرار والامن والبناء، لقول الشاعر:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا	من ذا الذي منهما قد أحرزا الشرفا
فالعلم قال أنا أحرزت غايته	والعقل قال أنا الرحمن بي عرفا
فأفصح العلم إفصاحا وقال له	بأينا الله في فرقانه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده	فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

وجد الاختلاف لحكمة من لدن حكيم خبير، وليس اختلاف الليل والنهار فحسب بل جميع انواع الاختلافات دليل من ادلة عظمته وقدرته البالغة، ودقة الصنعة تدل على حكمة الصانع وعظمة المخلوقات تدل على عظمة الخالق، ورغم كثرة الاختلافات في كل مناحي الحياة، لكن لا يوجد ما يعكر صفوة الحياة بسبب الاختلاف في مخلوقات الله، رغم ان الحياة بنيت على الاختلاف كما في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٩).

بما ان الاختلاف الكوني في القرآن الكريم جاء لأعمار الارض، فلا بد من الاشارة الى ان الله خلق البشر لإعمارها ايضا، وأكدت ذلك كثير من الآيات القرآنية نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ فِيهَا﴾ (هود: 61)
وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ أَكْلًا مِّنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا وَطَبَقًا وَنَخْلًا﴾ (النحل: ١٤)
وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ (لقمان: ٢٠)

اذن لو كان مفهوم الاختلاف في القرآن الكريم غير البناء والاعمار، فكيف سيعمر الانسان الارض وكيف يكون خليفة الله في ارضه كما وضحت ذلك الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ (البقرة: ٣٠)؟ فالإعمار والهدم لا يجتمعان.

اذن فالاختلاف الكوني كله خير ومحمود وفي بناء الانسانية، والاختلاف المذموم كله من صنع البشر، كما قال احد الحكماء: (خلق الله الكون فمأله بهجة وجمالا وخلق الانسان المدينة فمأله جوراً وبهتاناً).

المحور الثاني: الاختلاف الاجتماعي الحمود

ان مخاطبة الباري عز وجل للعقلاء في آيات الاختلاف، لها مدلول واضح على ان الاختلاف لا يستوعبه عامة الناس الذين يفسرونه على ظاهر القول كما ذكرت.
ورد في القرآن الكريم ومواقف عدة، اختلافات تصلح ان تكون دروس وخارطة طريق لجميع المسلمين ولل البشرية عامة، سنكتفي بمثالين فقط من القرآن الكريم لعدم سعة البحث، المثال الاول: مخاطبة الباري عز وجل لنبينا موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام، عندما طغى فرعون وتجرى وتمرد على كلام الله، دعى الله نبيه بالذهاب الى فرعون ومخاطبته بأسلوب مهذب يليق بجلال الله عز وجل وبشخصية نبيه رغم تجر فرعون وطغيانه واختلافه معهم في الرأي والفكر والعقيدة، في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقَوْلًا لَهُ ۖ قُلْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٤) فهذا درس لبني البشر في كيفية التعامل مع المختلف ومعالجة الاختلافات واحتواءها لا تحويلها الى خلاف وشقاق وهدم للمجتمع، بإسلوب حوار بناء بعيدا عن الخلاف والتصادم.

المثال الثاني: ورد في كتاب ربنا ﷺ على لسان نبيه هارون عليه وعلى نبينا افضل الصلاة واتم التسليم، لما عد الاختلاف اكبر خطرا واشد ضررا من عبادة الاوثان، حين صنع السامري عجلا من ذهب بغياب نبي الله موسى عليه السلام ما وضحت ذلك الآية الكريمة ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ (طه: ٨٨).

عندها وعظ هارون قومه بالحكمة وبقي ينتظر اخاه موسى عليهم السلام، ولما جاء موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة واتم التسليم، ورأى القوم عاكفين على العجل، غضب غضبا شديدا ومسك اخيه من راسه ولحيته بقوة معنفاً اياه، فكان جواب اخيه غاية في الحكمة: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنَّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (طه: ٩٤) فجعل خوف الفرقة والاختلاف بين قومه عذرا له في عدم التشديد في الانكار عليهم فيكون سببا في الفرقة، لذا فضل ان يعبدوا الاوثان على ان يزرع فيهم الخلاف.

وان العقلاء غالبا ما يخرجون من الاختلاف اما بإثراء موضوع الاختلاف او برأي ثالث يلاقح بين الرأيين، والدليل على ان اختلاف العقلاء رحمة، هو ان رواد المذاهب الفقهية الاسلامية كانوا على درجة من التوافق والتلاقح في الفكر والراي والعلاقة، وكانت العلاقة بين من تعاصر منهم علاقة طالب بشيخه، أي كل مودة واحترام وتقدير. "اختلف الإمامان الجليلان مالك والشافعي رضى الله عنهما، فالإمام مالك يقول إن الرزق بلا سبب، بل بمجرد التوكل الصحيح على الله يُرزق الإنسان مستنداً للحديث الشريف (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا)، أما إمامنا الجليل الشافعي فيخالفه في ذلك، فيقول لولا غدوها ورواحها ما رزقت، أي أنه لا بد من السعي. وكل على رأيه. فإمامنا مالك وقف عند (لرزقكم كما يرزق الطير) وتلميذه الشافعي قال لولا الغدو والروح لما رزقت. فأراد التلميذ أن يثبت لأستاذه صحة قوله، فخرج من عنده مهموما يفكر، فوجد رجلا عجوزا يحمل كيسا من البلح وهو ثقيل فقال له: أحمله عنك يا عماء، وحمله عنه، فلما وصل إلى بيت الرجل، أعطاه الرجل بضع تمرات استحسانا منه لما فعله معه، هنا ثارت نفس الشافعي وقال: الآن أثبت ما أقول، فلولا أني حملته عنه ما أعطاني، وأسرع إلى أستاذه مالك ومعه التمرات ووضعها بين يديه وحكى له ما جرى وهنا ابتسم الإمام الرائع مالك وأخذ ثمرة ووضعها في فيه وقال له: وأنت سقت إلى رزقي دوغما تعب مني. فالإمامان الجليلان استنبطا من نفس الحديث حكيمين مختلفين تماما وهذا من سعة رحمة الله بالناس، وهي ليست دعوة للتواكل.

ويحكى أن ابراهيم بن ادهم (وهو احد العلماء المعروفين) كان في سفر له وكان تاجرا كبيرا، وفي الطريق وجد طائرا جرح قد كسر جناحه، فأوقف القافلة وقال: والله لأنظرن من يأتي له بطعامه، أم أنه سيموت جوعا، فوقف مليا، فاذا بطائر يأتي ويضع فمه في فم الطائر المريض ويطعمه، هنا قرر ابراهيم أن يترك كل

تجارته ويجلس متعبدا بعد ما رأى من كرم الله ورزقه، فسمع الشبلي بهذا فجاءه وقال: ماذا حدث لتترك تجارتك وتجلس في بيتك هكذا؟ فقص عليه ما كان من أمر الطائر فقال الشبلي قولته الخالدة: يا إبراهيم، لم اخترت أن تكون الطائر الضعيف ولم تختار أن تكون من يطعمه؟ ولعله يقول في نفسه حديث الرسول ﷺ (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)¹⁶، هنا اقتنع الشيخ إبراهيم وعاد لعمله، فكل اختلاف ما لم يصاحبه تعصب هو عامل إيجابي مهما كبر، ففي النهاية لا يصح إلا الصحيح.

يقال بأن الامام الشافعيّ اختلف مع تلميذه النجيب يونس الصّدي، فقام التلميذ غاضباً وترك الدرس ورجع لبيته، وفي الليل ذهب الإمام الشافعيّ لبيت يونس، فقال له: يا يونس: تجمعنا مئآت المسائل وثقّرنا مسألة؟! يا يونس: لا تحاول الانتصار في كل الاختلافات، فأحياناً كسب القلوب أولى من كسب المواقف، يا يونس: لا تهدم الجسور التي بنيتها وعبرتها، فربما تحتاجها للعودة يوماً ما، اكره الخطأ دائماً، ولا تكره المخطئ، يا يونس: انتقد القول لكن احترم القائل؛ فإن مهمتنا أن نقضي على المرض، لا على المريض، واعلم بأن (كلنا يؤخذ منه ويرد عليه الا محمد ﷺ).

ويقول احد العلماء: ولو أن أولي الألباب اتفقوا جميعاً على رأي لما أصبح هناك داع للحوار وتبادل الآراء والخروج بنتائج جوهريّة.

إن الاختلاف الفكري هو الطريقة المثلى لتطوير الفكر، ولولا وجود فكر جديد يتعارض مع ما سبقه، لما وجد ما يسمى بتطور الفكر وتجديده على مر الأزمان، وإن كل ما موجود على كوكب الارض من تقدم في جميع المجالات يعود فضله الى الاختلاف، ولو ان البشر خلقوا سواسية في كل شيء لما كان هناك اي اعمار او ازدهار، لكن حكمة ربك أن جعل الاختلاف سنة كونية لغرض الاعمار، ولابد ان نؤكد بأن وجود الاختلاف بين البشر أمر طبيعي ولا يمكن اجبار الناس على الخروج عن دائرته، وحتى المنهج التشريعي للمسلمين المحكوم بالكتاب والسنة اللتان تخرجان من مشكاة واحدة، يوجد اختلاف في التشريع الاسلامي، ولا نستطيع ان نعتبر هذا الاختلاف عنصر هدم للمجتمع بقدر ما هو حكمة اوجدها الله في نزول التشريع مع امكانيات وظروف المسلمين المختلفة بحسب الزمان والمكان وقيم المجتمعات، واكبر دليل على ذلك تعدد القراءات في كتاب الله الذي جاء ليتناسب مع اختلاف اللهجات في أرجاء المجتمع العربي الذي يتكلم لغة واحدة، "وإن محاولة رفع الاختلاف في التشريع الاسلامي لا تثمر إلا توسيع دائرة الخلاف، وهي محاولة تدل على سذاجة بيّنة، ذلك أن الاختلاف في فهم الأحكام الشرعية غير الأساسية ضرورة لا بد منها، والذي أوجب هذه الضرورة طبيعة الدين، وطبيعة اللغة وطبيعة البشر وطبيعة الكون والحياة"¹⁷.

وبالاختلاف البناء "تتقدم العلوم وتنشأ الحضارات، وتنمو المدارس الفكرية والمذاهب الفلسفية وغيرها، وفي ظلّه يصبح من المؤلف أن توجد المذاهب المختلفة، والمجتمع الذي لا تنمو فيه هذه الاختلافات هو مجتمع سقيم وهذا ما تشير إليه الروايات بأن الاختلاف رحمة"¹⁸.
ومن فوائد الاختلاف البناء:

- 1- الاثراء العلمي
 - 2- رياضة الذهن بالتفكير والنقاش.
 - 3- العصف الفكري وتلاقح الآراء.
 - 4- تعدد الاختصاصات للإحاطة بمختلف مناحي الحياة.
- يؤكد الدكتور عبد الكريم بكار "أن الاختلاف في الفكر إثراء للحراك الثقافي، وذو فوائد جمة حيث يمكن من خلاله الاطلاع على فكر الآخر والاستفادة منه، موضحاً أن هذا الاختلاف مصدر قوة ضرورية للتنوير، وهذا الاختلاف موجود في كل العالم، ولولا هذا الفكر لما عشنا في عالم القرية الصغيرة وفي هذا الرخاء الفكري من حولنا"¹⁹.
- ومن فوائد الاختلاف انه يؤدي الى التقدم العلمي على جميع المستويات، سياسياً واقتصادياً وثقافياً، فالعلماء ليسوا على فكر واحد، فمن مجموع الافكار يثري احدها الاخر فيتحقق التقدم العلمي والتنمية البشرية وزيادة الانتاج.

المبحث الثالث: الاختلاف المذموم

لله في عبادة سنن كونية فطرية جبلية في اصل خلق الانسان، تشمل كل اصناف البشر، منها: التشبث بالحياة وحب النجاح وحب التميز وحب الكمال وحب الصدق وحب المال وحب العدل وحب الجنس وغرائز كثيرة اخرى، والناس بكل طوائفهم مجمعة على حب الفضائل، نعم، ان بني البشر يحبون الكمال ويسعون له، فالجميل والديميم نفس الشيء من الداخل، الفطرة ان تحب الخير وقد لا تكون خيراً، ان تحب العدل وقد لا تكون عادلاً، الفطرة ان تحب الصدق وقد لا تكون صادقاً، الفطرة وحب الكمال شيء وان تسعى له شيء اخر، ان تحب النجاح شيء وان تعمل له شيء اخر، فحب الغرائز شيء والسعي لها شيء اخر، وكيفية السعي شيء مختلف ايضاً، وهذه الغرائز تجعل الانسان احياناً يرجح مصلحته على مصالح الآخرين وهنا مكنم الاختلاف الذي يفضي الى الخلاف وانحدار بعض الناس في مستنقع الرذيلة والانحراف والاجرام و... الخ من الامور المشينة.

المحور الاول: الاختلاف المذموم في القرآن الكريم

وردت آيات كثيرة في ذم الاختلاف، وكل هذه الآيات تدل على ان الاختلاف المذموم هو من صنع البشر، وكل اختلاف من صنع الله عز وجل يكون محمود، كما ذكرت في المبحث السابق، وحاشا لله ان يخلق شيء مذموم، أما بعض الآيات التي وردت في ذم الاختلاف والتحذير منه والوعيد لمن قام به، لأنه مصدر هدم للإنسانية ولما بناه الله فمنها قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 213).

1- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْبَصَرِي عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة: 113).

2- ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (مريم: 37).

3-

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: 19).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: 3).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشورى: 10).

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: 63).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: 19).

وصف تعالى الاختلاف في الآيتين بسورة البقرة بالبغي والعدوان، وعندما اختلف اليهود والنصارى في ادعاء الحق رغم وجود الكتاب الذي ينطق بينهم، شملهم تهديد الله عز وجل على هذا الاختلاف، وجميع الآيات التي جاء فيها الاختلاف لا تخلو من تهديد من الله عز وجل للمختلفين، وعُدَّ الاختلاف في سورة مريم من الكفر وفي سورة الزخرف من الظلم، كانت كل مدلولات الآيات تتفق على ان الاختلاف المذموم هو من صنع البشر لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82) أي ان الله تبارك وتعالى ذم الاختلاف الهدام وتبرأ منه ورفضه، ويتضح من مدلول هذه الآية ان الاختلاف هو ليس من عند الله، أي ان الاختلاف قطعاً من صنع

البشر هذا اولاً، ثانياً: توحى الآية بأن الاختلاف بين البشر امر جبلي فطري كما في قوله تعالى لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلاف أي ان الاختلاف سيكون حتمي، الا انه مرفوض من الله وسيعاقب الذين يسعون للاختلاف بعقاب شديد، لان الاصل في الحياة هو التوافق، اما الاختلاف بين البشر فهو دخيل ومذموم، وابسط مثال على الاختلاف المذموم هو ما عاناه المجتمع العراقي بسبب الاختلاف الفكري حيث القتل والتهجير والتكفير وما صاب المجتمع من ويلات كان مصدره الاختلاف الذي أدى الى الشقاق والتمزيق، أما الاختلاف الكوني فهو محمود دائماً وجاء من باب تجميل الكون واعماره، وبضدها تتميز الاشياء.

المحور الثاني: الاختلاف الاجتماعي المذموم

هناك بعض السلوكيات السلبية لتحقيق الغرائز قد تكون عامل اختلاف يفضي الى الخلاف اذا ما ضببطت بضوابطها الصحيحة، كالحسد والبغضاء والأهواء والغيرة والغرور والكبر وسوء الظن وحب الذات وغيرها من عوامل اخرى كما ذكر قسم منها الشاعر بقوله:

الا لكثرة شقوتي وعنائي

اني بليت بأربع ما سلطوا

كيف السبيل وكلهم اعدائي

ابليس والدنيا ونفسي والهوى

مضافا الى ذلك عوامل اخرى تؤثر في طريقة التفكير وتسبب الاختلاف بين بني البشر وترسم طريقة التفكير والرؤية لكل حالة، ومن هذه العوامل على سبيل المثال:

- 1- الخلفية الثقافية. 2- منطلقات التفكير. 3- زوايا النظر. 4- سعة الخيال. 5- قوة الذاكرة. 6- التنشئة الاجتماعية. 7- الدين. 8- طريقة فهم الحياة. 9- المستوى العلمي. 10- عمر الانسان وتجاربه الحياتية. 11- حب الذات. وعوامل اخرى كثيرة ذاتية وخارجية تسبب الطباع المشينة، وبناءً على ذلك هناك قاعدة اجتماعية مفادها (ان الانسان يأنس بالإنسان، وأكثر من يخافهم بنو آدم، هم بنو آدم انفسهم).

وان الناس لا يمكن ان يتفقوا في كل شيء، كما يوضح السيد بكار "وذلك بسبب نوعية تركيبنا العقلي وتنوع خلفياتنا الثقافية بالإضافة الى طبيعة القضايا التي نفكر فيها والادوات التي نستخدمها، واساليب التنشئة والعوامل الوراثية وعوامل اخرى كثيرة، إني موقن بأن عقولنا ونفوسنا صورا متنوعة كصور وجوهنا على نحو تام، فملايح وجوهنا العامة موحدة، وهذا هو الاطار الجامع للفكر الانساني بكل ما فيه من تناقضات، ولكن الاختلافات اليسيرة على مستوى لون البشرة وحجم الانف وشكل جباهنا وأنوفنا وعيوننا، أوجدت هذا التنوع الهائل بين مئات ملايين الوجوه"²⁰، وبما ان بني البشر مختلفون كما ذكرنا في أمور خلقية كثيرة كبصمة العين وبصمة الصوت وبصمة الاصابع والحامض النووي وتقاسيم

الجسم وغير ذلك كثير، ولا يوجد على وجه البسيطة اثنان من البشر متطابقين بالصفات المادية، اذن لا يوجد اثنان يتطابقان كذلك في السلوك والتفكير، لذا كان الاختلاف كثيرا بالمصالح والنزعات والاهداف والنوايا والسلوك مما يصل الاختلاف في احيان كثيرة حد الخلاف والنزاع والاجرام.

وان ما تعاني منه الشعوب اليوم من اضطهاد وظلم وقتل وتهجير وتشريد هو بسبب النزعات العدوانية التي ينتهجها بعض البشر لتحقيق مآربهم الشخصية والحزبية والفئوية، وان كل ما يصيب الانسانية اليوم والعراق على وجه الخصوص، هو بتفعيل الاختلاف العقائدي والمذهبي والطائفي والعرقي والاثني، باستغلال جهلاء الناس وزجهم في مشاريع هدموية لنخر جسد الامة وتفتيت نسيجها الاجتماعي، ذلك النسيج الذي حاولت اقوام كثيرة عبر التاريخ على تفتيته ولم تفلح، لأن القيم الاجتماعية تنمو وتنتشر في سلوكيات الشعوب وتتصلب مع مرور الزمن، وبلد مثل العراق عمره الاف السنين، لا يمكن تفتيت قيمه بسهولة، لأنها راسخة ومتصلبة يصعب تمزيقها، ربما يمكن اضعافها، اما تمزيقها فهذا شيء في غاية الصعوبة لأن هذه القيم متجذرة في عمق التاريخ، وفي النهاية لا بد لها من الثبات والنمو مرة اخرى، وهذه ليست التجربة الفاشلة الاولى التي يجريها اعداء الامة لتمزيق البلد، ولا يفوتنا ان نذكر بأن الحرب المعاصرة انتهجت اسلوب جديد من المعارك وبسلاح جديد كما وضح ذلك احد الكتاب الغربيين في مقال له وهو يقسم سلاح الحروب عبر التاريخ الى اربعة اجيال:

الجيل الاول: السلاح الابيض - المتمثل بالسيف والرمح وما شابه.

الجيل الثاني: السلاح الناري

الجيل الثالث: السلاح النووي

الجيل الرابع: السلاح القيمي: والذي يتلخص بأن تترك عدوك يحارب نفسه بنفسه باستثمار الاختلافات العرقية والدينية وتأجيجها.

ويقول: روجيه غارودي: (ان الغرب اليوم يقاتل بالتكلفة الصفرية، العدو يقتل نفسه بنفسه، العدو يدفع ثمن السلاح، العدو يطلبنا للتدخل فلا نقبل).

إن حروب الجيل الرابع على حد قول غارودي: لأن تهيء لخلق دولة فاشلة، هذا يتم عبر نقاط كثيرة اهمها:

- 1- خلق صراع ايديولوجي داخل الدولة، مثل الصراعات الطائفية او العنصرية او المذهبية.
- 2- استخدام الاطفال وتدريبهم حتى ينشأ جيل بثقافة القتل والتدمير وليس بثقافة البناء والتحضر...

وهذا وصف حالنا اليوم؟؟

اذن اصبح الاختلاف سلاح يستخدمه العدو ضد الامم الضعيفة لتقتل نفسها بنفسها مثلما حصل في العراق، حينما حصلت الفتن التي راح ضحيتها الكثير من ابناء المجتمع العراقي بسبب الاختلافات الفكرية العقائدية التي نمت بأحضان الجهل الذي نتج عنه التطرف الفكري الذي يبيح قتل المسلم للمسلم المخالف له في المذهب او الدين او الطائفة.

يقسم الاختلاف الى اقسام عديدة منها الاجتماعي والسياسي والعلمي والديني والاممي والدولي والمجتمعي والقبلي والجماعي والحزبي والفردى وانواع اخرى كثيرة، ولكن أخطرهما واشدها ضراوة هو الاختلاف العقائدي المدعوم بالجهل والذي غالبا ما يفضي الى الخلاف، وان هذا النوع اصبح مرتع خصب لعشاق الحروب وتجار الدماء من الساسة، وهذا هو الاختلاف المذموم بأبشع صوره. ان للاختلاف الفكري المذموم صور واشكال كثيرة سواء من حيث النوع او الكم او الكيفية كما ذكرنا سابقا، فعلى الصعيد المجتمعي كان العراق خير مثال، واما على الصعيد الفردي، فالاختلاف المذموم يورث العداوات التي تورث الهم والقلق والحقد والبغضاء والامراض النفسية والاجتماعية كما قال المتنبي:

والهمُّ يَحْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً وَيُشِيبُ ناصيةَ الغلامِ وَيُهِرِّمُ

وإليك بعض الآثار الصحية لهذه الصفات:

- "القلقُ يرفع ضغطَ الدم.

- القَلَقُ يمكن أن يتسبب في أمراض الروماتيزم.

- القلق يسبب مرض الغدَّة الدرقية.

- القلق يسبب مرض السكري.

يقول احد الحكماء(خَفَّفَ من قلقِكَ إكراماً لجسدك)

وفي ترجمة لكتاب د. كارل مانينغر، أحد الأطباء المتخصصين في الطب النفسي، وعنوانه: (الإنسان ضد نفسه)، يقول: (لا يعطيك الدكتور مانينغر قواعدَ حولَ كيفية اجتنابِ القلق، بل تقريراً مذهلاً عن كيف نحطّم أجسادنا وعقولنا بالقلق والكبت، والحقد والازدراء، والثورة والخوف).

كما وتسبب - الهموم - تقزيم العقل - اشغال الفكر - اثار نفسية سيئة - سوء الطباع - الحزن - القلق - الحقد، ويمكن أن تؤثر في توزيع الكالسيوم في الجسم، وبالتالي تؤدي إلى تَلَفِ الأسنان²¹.

التوصيات

انطلاقاً من أهمية تحقيق الأمن الفكري، واستناداً إلى ما ورد في ثنايا هذا البحث، أتقدم بالتوصيات الآتية:

- 1- إجراء المزيد من البحوث والدراسات حول بناء ثقافة الاختلاف وتقبل الآخر وهي وظيفة جماعية تخص جميع المؤسسات المجتمعية كالأُسرة والمدرسة والمسجد والجامعات وكافة مؤسسات المجتمع المدني، والعمل على تحصين فكر المجتمع، لأن استفحال ظاهرة الاختلاف الفكري يهدد المجتمع بأسره.
- 2- العمل الجاد على التنبيه من مصادر الانحرافات الفكرية التي تتسبب بصناعة التطرف فكرياً وكشف ذلك، ومن أبرزها وسائل التواصل الاجتماعي الذي دخل في كل أسرة.
- 3- يجب القضاء على الجهل والأمية ونشر العلم بأنواعه والتركيز على العلم الشرعي ودعم الحوار الوسطي المعتدل، ومحاربة الغلو والتكفير.
- 4- إنشاء قنوات إعلامية إسلامية لرصد كل ما يتعرض للأمن الفكري سواء من الداخل أو الخارج.

الهوامش

- 1 - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط2، دار القلم، دمشق، سنة 1412هـ/1992م ص294.
- 2 - عوامه، مُجَدِّد، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، دار البشائر، بيروت، ط2، 1418هـ/1998م، ص8.
- 3 - المصباح المنير في غريب شرح الوجيز. الفيومي، أحمد بن مُجَدِّد، المكتبة العلمية، بيروت، 1992م، ص179.
- 4 - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ/1998م، ص61.
- 5- عوامه، مُجَدِّد، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، (مصدر سابق)، ص10.
- 6- ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر- لبنان- بيروت، ط3، (بدون تاريخ نشر)، ص162.
- 7- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار صادر- لبنان- بيروت، 1979م، ص479.
- 8- الزبيدي، عبد الرحمن، حقيقة الفكر الإسلامي، دار المسلم، الرياض، الطبعة الثانية 1422هـ، ص10.

- 9- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية: الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني- لبنان- بيروت، 1982م، ص156.
- 10- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد الغزالي، علق عليه جمال محمود محمد سيد، دار الفجر للتراث- القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ = 1999، 86/5.
- 11- لسان العرب، لابن منظور، (مصدر سابق)، ص205.
- 12- فؤاد خليل، المجتمع النظام البيئة في موضوع علم الاجتماع وإشكاليته، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الاولى، 2008م، ص12.
- 13- نفس المصدر، ص13.
- 14- عبد الكريم بكار، ادارة الاختلاف، مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول، 2018م، ص8.
- 15- طه جابر العلواني، ادب الاختلاف في الاسلام، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2005م، ص11.
- 16 - www.almasryalyoum.com/news/details/965649
- 17- طه جابر العلواني، مصدر سابق، ص56.
- 18- عبد الكريم بكار، ادارة الاختلاف، مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول، 2018م، ص11.
- 19- نفس المصدر، ص23.
- 20- نفس المصدر، ص27-28 (بتصرف).
- 21 - نفس المصدر، ص72.

المصادر والمراجع

- 1- ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر- لبنان- بيروت، ط3، (بدون تاريخ نشر).
- 2- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط2، دار القلم، دمشق، سنة 1412هـ/1992م.
- 3- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار صادر- لبنان- بيروت، 1979م، ص479.
- 4- الزبيدي، عبد الرحمن، حقيقة الفكر الإسلامي، دار المسلم، الرياض، الطبعة الثانية 1422هـ.
- 5- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية: الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني- لبنان- بيروت، 1982م.
- 6- المصباح المنير في غريب شرح الوجيز. الفيومي، أحمد بن مُجَدِّد، المكتبة العلمية، بيروت، 1992م.
- 7- طه جابر العلواني، ادب الاختلاف في الاسلام، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2005م.

- 8- طه جابر العلواني، ادب الاختلاف في الاسلام، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2005م.
- 9- الغزالي، أبو حامد مُحمَّد ، إحياء علوم الدين، دار الفجر للتراث- القاهرة، ط1، 1999م.
- 10- فؤاد خليل، المجتمع النظام البيئة في موضوع علم الاجتماع وأشكاله، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الاولى، 2008م.
- 11- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ/1998م،
- 12- عبد الكريم بكار، ادارة الاختلاف، مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول، 2018م.
- 13- عوامه، مُحمَّد، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، دار البشائر، بيروت، ط2، 1998م.
- 14- عبد الكريم بكار، ادارة الاختلاف، مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول، 2018م.

مواقع النت

www.almasryalyoum.com/news/details/965649